الفاضل زين افندي زين بما عهد به من اللطف والانس ثم حضرجناب الشاعر اللغوي استاذها الاوّل عبد الله افندي فريج واربابي المدرسة فوجدت فيها نحو متتين وسبعين تلميذًا وهي تقوم بنفقات مئة منهم وكتبهم وثيابهم . والتلامذة مقسومون الى ثماني فرق تتعلم الاولى منها العربية والفرنسوية والانكليزية والحساب والتاريخ والجغرافيا والاخيرة مبادئ القراءة . ولتلامذة كل طائفة خادم دين يعلمهم اصول مذهبهم . واساتذة هذه المدرسة تسعة وهم بحسب حروف الهجاء ابرهيم افندي جرجس والشيخ ابرهيم شرشر والشيخ ابو الشدائد وشكري افندي رباط وعبد الله افندي فريج والشيخ عبد العالي والمعلم غبريال ومحمد افندي فهمي ومرقص افندي نعوم . واني بلسان المغتطف الاغر اقدم مزيد الشكر لحضرة رئيس جمعية هذه المدرسة مرقص افندي ولحضرة نائبه مسيحة افندي دبيان ولبقية الاعضاء والاساتذة الكرام وكل من له يد في مساعدة هذا المشروع الذي لا تحصى فوائدهُ ولا تنكر عوائدهُ

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

الخنساء (١)

لجناب السيدة مريم مكاريوس

ايتها السيدات الفاضلات

نحن نميل طبعًا الى قراءة القصص وسيَر الناس ولذلك نرى اكثر نساء العالم يقتبسنَ جلّ معارفهنّ وفوائدهنّ من قراءة الكتب التي من هذا الباب وان كان بعضهنّ لا يقتصرنَ عليها بل يترفعنَ الى مطالعة الكتب التي هي اعلى منها بحثًا وادقّ نظرًا واعسر تحصيلًا . ولا يخفى عليكنّ ان المرأة العاقلة لا تقصد بمطالعة الروايات وسيَر الناس مجرّد تسلية الخاطر واشغال المخيّلة بما يهيج الاطفال ويسلي الاولاد الصغار ولكنها تقصد اولاً تحصيل الفوائد اللازمة لها في حياتها مثل معرفة الاخلاق واختلاف الاحوال وصروف الزمان والتصرّف في النوائب وفضل ممارسة

(١) خطبة تلتها في جمعية باكورة سورية في جلسة ٩ ايار (مايو) سنة ١٨٨٥

الفضيلة ووخامة مرتع الرذيلة واعتبار العواطف الشريفة والاقتداء بالذين فاقوا في حسن صفاتهم وكرم اخلاقهم وفازوا بجمال صبرهم وإفادوا بحسن تربيتهم واهتمامهم بجبر القلوب الكسيرة وتشجيع النفوس الصغيرة وانهاض الهمم واصلاح الشؤون. هذه الفضائل وامثالها تقصدها المرأة الحكيمة اولاً في مطالعة الحكايات والسِيَر وتقصد الفكاهة والتسلية ثانياً. وإني طالما وددتُ لو كان لنا نحن بنات اللغة العربيَّة ما لغيرنا من الروايات التي اذا قرأناها لم تعلُ وجوهنا حمرة الخجل ومن السِيَر التي نجد فيها ما يوسّع العقول ويهذّب الاخلاق ويلطّف العواطف ويكمّل الآداب ويعلّم احوال العالم ويكشف لنا خبايا الطبع البشري فلم أنل المُنى الاَّ في قليل مما وقفتُ عليهِ ولم أزل اضطرُّ الى مطالعة كتب الافرنج لتحصيل ما اشتهيهِ من هذا القبيل مع اننا في زمان نتبارى فيهِ اقلام الكتّاب ويتباهى بهِ أولو النباهة والذكاء الساعون في تعميم الفوائد لا في ابهام القرّاء والمجتهدون لنفع غيرهم لا لمجرّد اكتساب الثناء

على اني اذا اعترفتُ بقصورنا من هذا القبيل لم ارد بذلك التنديد في بني وطني ولا ذمّ بنات بلادي ولا انكار ما ابقاهُ لنا افاضلنا من هذا الباب وانما بغيتي حثُّ المجتهدين والمجتهدات وتوجيه التفاتهم الى تكميل هذا النقص وشد ازر الذين يبذلون القوى المعنوية والماديَّة لقضاء هذه الغاية. وحضراتكنَّ توافقنني على وجوب الحث واظهار الحاجة الى ما نفتقر اليهِ والاقرار بما نحن قاصرات فيهِ ليظهر كل ذلك جليّاً امامنا ونحرك غيرتنا على اصلاحهِ وتكميلهِ

ابقى لنا السلف ذكر امرأة من مشاهير النساء اللواتي فقنَ بنات عصرهنَّ بعقلهنَّ وادبهنَّ وحالهنَّ فحقَّ لهنَّ ان يحسبنَ في مصاف عظام العالم ومشاهيرهِ واعني بها الخنساء الشاعرة العربيَّة المشهورة. فلو انهُ قامَ بينَ الافرنج امرأة كالخنساء في مواهبها واوصافها لرأيتهم يشدُّون الرحال الى استكشاف اخبارها وجمع مآثرها وآثارها والاستعلام عن مسكنها وماكلها ومشربها وحديثها ومعشرها ولا يتركون سبيلاً الاَّ طرقوهُ للوقوف على علامات ذكائها ودلائل نباهتها واوصافها العقلية والادبية وتصرُّفها في عائلتها وبين اهل قبيلتها حتى لا يفوتهم معرفة شيء من احوالها وصفاتها وخصائصها وغرائزها ونكتها وغرائبها منذ ولادتها الى مماتها. وان لم يتهيأ لهم كل ذلك لبعد عهدها وخلاء حالها وطموس اخبارها جمعوا كل ما امكنهم جمعهُ من اخبارها ونسجوا عليهِ ما زيّنت لهم نفسهم او صوّرهُ لهم خيالهم من الافكار والآراء والمقدمات والنتائج بحيث يدرك القراء الفائدة المقصودة ويبقى ذكرها مخلّداً وتدوم شمس عظمتها وفضلها ساطعةً فتحيي النفوس وتقوّي القلوب. واما نحن فنترك مثل هذه الجواهر في زوايا النسيان حتى يعلوها الصدأ وتخرها انياب الزمان فلا نفي بالواجب لها ولا نستفيد من مثالها

الخنساء لقبٌ للشاعرة السليميّة التي نحن في صددها وقيل انها لُقِّبت به لتأخُّر انفها عن وجهها وارتفاع ارنبته قليلاً وهو عيبٌ ظاهر لا ينطبق على شروط الجمال كما يدلنا عليه الذوق السليم . فلا ادري كيف يصحُّ ان تكون كذلك ويقال فيها ما قالهُ الرواة عنها انها كانت في اول عمرها من اجمل نساء عصرها حتى سبى حسنها قلب دُرَيد بن الصمّة وهو شيخ فارسل اليها يخطبها فردته على علو شانهِ وتركنهُ يعزي النفس بقولهِ

حيوا تماضرَ وارْبعوا صحبي وقفوا فانّ وقوفكم حَسْبي
أخناس قد هامَ الفؤاد بكم واصابه تبلٌ من الحُبِّ

فإمّا ان يكون الخَنَس صفةً مستحسنةً عند العرب خلافًا لما نستحسنهُ نحن اليوم واما ان يكون جمال ذلك العصر طفيفًا حتى عدّت الخنساء من اجمل بناتهِ خلافًا لما يُعهَد عن بنات البدو في زماننا هذا واما ان تكون الخنساء لقّبت كذلك لسبب غير السبب المذكور . واسمها الاصلي تماضر وابوها عمرو بن الحرث واخواها صخرٌ ومعاوية ابنا عمرو المذكور ولم يذكر لنا المؤرّخون شيئًا عن اسم امها ولم يكلّفوا النفس الى كلفةٍ عن التي قاست الاهوال واحيت الليالي الطوال حرصًا على حياة بنتها وحبًّا بتربيتها واحتمال اثقالها كأن الام شخصٌ قد قُدِّر عليهِ الخمول والنسيان فلا يليق ذكرها حتى مع بناتها . فابن الانصاف في ذلك وفضل البنت من فضل امها وقد قال الفيلسوف ان الباري اذا شاء ان يخلق في الارض عظيمًا خلق قبلهُ عظيمة تلدهُ . وما ادرانا ان الخنساء لولا فضل امها لم يكن فيها فضلٌ تشتهر بهِ ولولا حسن تربية امها لها ما نبغت بما نبغت . نعم انها ولدت من نسل امرء القيس اشعر شعراء العرب والاقرب الى العقل ان تكون قريحتهُ قد اتّصلت اليها بحكم الوراثة ولكنها اتّصفت ايضًا بصفات ادبيّة اسمى من صفاتها العقليّة . وحضراتكنّ تعلمنَ ان امرء القيس لم يفق في آدابهِ ولو فاق الشعراء في شعرهِ . فالمتأمّل في سيرة الخنساء يجد ممدوحة واسعة لاسناد الفضل الى امّها وان يكن على سبيل الزعم والتخمين ولو تنازل المؤرّخون الى ذكر امّ الخنساء وصفاتها لظهر الحق وانتفت الظنون وكفى بذلك فائدة ان لم يكن من ذكر الامّ غيرها

وقد اغفلوا ايضًا ذكر سنة ولادتها وهذا نقصٌ ظاهر فلم يبقَ الّا ان نستدلّ على زمانها بمقارنتهِ بغيرهِ من الحوادث المعلومة العهد . ولما لم يكن قصدي تمام التدقيق في ترجمة حياتها اقول بالاجمال انها كانت عائشة في زمان محمد نبي المسلمين فقد ذكروا ان الرسول كان يستنشدها ويعجبهُ شعرها والدلائل كثيرة على انها كانت يومئذٍ غير صغيرة السن وربما لم تخطُّ كثيرًا اذا حسبنا ولادتها نحو ٦٠٠ سنة بعد المسيح . وقد ضربوا صفحًا ايضًا عن ذكر ما

جرى لها في صباها ولم يشيروا الى ايام حداثتها . والحال ان الانسان لا يستكمل الفائدة ولا اللذة من مطالعة سير غيره الا متى اطّلع على احوالهم فعرف نقائصهم وفضائلهم وحسناتهم وسيئاتهم وما فاقوا به وما قصروا عنه وكيف طرأت عليهم النجارب والمصاعب فتخلّصوا منها وتغلّبوا عليها وكيف توسّعت قواهم العقلية واستقامت قواهم الادبية ونمت ابدانهم واشتدّت قواهم الجسدية وما كانت نوادرهم ومزاياهم وسائر خصائصهم . وهذه الامور كلها تظهر في زمان الطفولية والصبا احسن ظهور ولذلك يجد القارئ معظم اللذّة والطلاوة — ان لم نقل معظم الفائدة ايضاً — في معرفة احوال الشخص في طفوليته وحداثته . وهذه كلها تُرِكت في سيرة الخنساء نسياً منسيّاً ولم يُذكَر عنها من هذا القبيل الاّ انها كانت في اوّل عمرها من اجل بنات عصرها كما مرّ معنا . وما بقي فمتروك للقارئ يتصوّرهُ كيف شاء . فيا حبذا لو ان احداً من الواسعي الاطّلاع في تواريخ العرب وعوائدهم المتوقدي الذهن المتهذبي الاخلاق الجامعين لحسن الذوق وقوة الخيال مع معرفة الطبائع والاحوال يتحف قرّاء هذا العصر بمقالة في وصف احوال العرب وتربيتهم ومعشرهم وكيفية معيشتهم ويبرز لنا ما خفي من مكنونات ضمائرهم وسامي افكارهم مقرّرًا ذلك كلهُ من احوال العرب في ايام الخنساء حتى يسهل علينا تصوُّر حالها في حداثتها ويتهيأ لنا الاستدلال على افكارها ونظرها في الامور . الاّ اننا وان نكن لا نعلم الكثير من عوائد قومها في زمانها فليس فينا مَنْ تجهل ان عوائد قومها كانت مختلفة عن عوائد قومنا اختلافًا عظيمًا واعتبارهم للامور مختلفًا عن اعتبارنا لها فكانوا يستحسنون كثيرًا ما نستهجنهُ ويستهجنون كثيرًا ما نستحسنهُ . ولذلك لا نقاس قيمة الناس في ذلك الزمان بالنسبة الى زماننا بل بالنسبة الى زمانهم

وفي كلام المؤرّخين عن زواج الخنساء خبط ونقص فقد ذكروا انها تزوجت برواحة بن عبد العزيز السلمي فولدت له عبد الله ثم تزوّجت مرداس بن ابي عامر فولدت له يزيد ومعاوية وبقيًا اسمها عمرة . وذكروا عنها في حرب القادسيّة انهُ كان لها اربعة بنين ويستدلُّ من كلامها لهم انهم كانوا بني رجلٍ واحدٍ ولا يخفى ما بين ذلك من الاختلاف الذي لم يذكر له سببٌ ولا يُعرَف لتأويلهِ وجهٌ .

وشهرة الخنساء كانت بشعرها فقد اجمع اهل المعرفة بالشعر انهُ لم تقم قبلها ولا بعدها امرأة مثلها في الشعر فعدّت من طبقات فحول الشعراء من الرجال . قيل لجرير التميمي — (وهو وان كان يقاس بالخنساء في شعرهِ لكنهُ دونها في تأدّبهِ ونزاهة لسانهِ) — من اشعر الناس قال انا لولا الخنساء فقيل له بماذا فضّلتكَ فقال بقولها

إنّ الزمانَ وما يُفنِي لهُ عَجَبٌ أبقى لنا ذَنَبًا واستأصلَ الراسُ

أبنى لنا كلَّ مجهولٍ وفجّعنا بالأكرمينَ فهم هامٌ وأرماسُ
إنَّ الجديدَينِ في طولِ اختلافهما لا يَفسُدانِ ولكن يفسد الناسُ

والظاهر انها لم تجد بالشعر حتى أثرت فيها الاحزان بقتل ابيها واخويها فبلغت اعماق نفسها وأثارت كل ساكن فيها وحرّكت عواطفها واشجانها فصارت لا تجد لتنفيس الاحزان والكروب غير الشعر — والشعرُ مزيج الكروب — ويظهر انها كانت سوداويّة المزاج شديدة الانفعال قوية العواطف الى الغاية . وتمكّن الحزن في فؤادها بتوالي المصائب عليها في أحبّ الناس اليها . واستعرت نارهُ بين ضلوعها بعكفها عليهِ ودوام التأمّل في اسبابهِ ومهيّجاتهِ واعتقادها ان المبالغة في الحزن مبالغة في الفضل وان تعظيمها للمصاب تعظيم للقدر فقد ذكروا انها "كانت تسوم هودجها في الموسم وتعاظم العرب بمصيبتها بابيها واخويها وتقول انا اعظم العرب مصيبةً وأفرّ لها الناس في ذلك" . فكانت هذه الامور كلها اسبابًا تزيد الحسرات وتفيض العبرات وتشدّد الاحزان وتحرّك الاشجان كانها للنار حَطب او زيت يصبُّ على اللهب . واذا زدنا على ذلك ميلها بالطبع الى الحزن والغم وعظم حبها لابيها واخويها وانقطاع رجائها في آخر حياتها من نعيم اخويها يتضح لنا كيف كانت نفسها دائمًا في حزن متجدد وغم متزايد . ولهذا كانت لا تقول الشعر الاّ عن انفعالٍ وشكوى فتضمّنهُ ادقّ حركات نفسها والطافَ اشجانها وعواطفها واما قبل ذلك فكانت تقول الشعر القليل

واشعارها في رثاء ابيها واخويها لا يزال كثيرٌ منها بين ايادينا وهي تشفُّ عن حزن شديد وافتكار دائم بفقد اخويها فكانت كانها لا ترى جبلاً ولا بيتًا ولا قبرًا ولا شيئًا يقارب هذه او يباعدها الاّ علّقت افكارها عليهِ وجعلتهُ مشكًى لصبها وشبهًا لاخٍ من اخويها ولا سيما لاخيها صخر وكان معدودًا من اجل رجال العرب وكانت تحبُّهُ محبةً شديدةً . قيل "انهُ اغار على بني اسد بن جذيمة فطعنهُ يزيد بن ثور الاسدي فادخل في جوفهِ حلقًا من الدرع ثم اندمل الجرح عليها وقد نشأت قطعةٌ فوقها من جنبهِ فاضناهُ ذلك حولاً ثم شقّ عنها فمات على اثر ذلك فحزنت عليهِ اخته الخنساء حزنًا لم يسمع بمثلهِ . وكان ابوها واخوها معاوية قد قُتِلا قبلهُ فازدادت مصيبتها وضُرِب بها المثل في الحزن واكثرت من مراثي اخيها صخر وجلست على قبرهِ زمنًا طويلاً تبكيهِ وترثيهِ ومراثيها فيهِ اشدُّ تأثيرًا من مراثيها في اخيها معاوية اه"

ومن اشعارها المشهورة في اخيها صخر قولها

تبكي لصخرٍ هيَ العبرى وقد ذرفت ودونهُ من جديدِ الترب استارُ

. . . . . .

فانّ صخرًا اوالينا وسيّدنا وانّ صخرًا اذا نشتو لنحّار
وانّ صخرًا لتأتمّ الهداة به كأنّه علم في رأسه نار

ومنها

مثل الرّدينيّ لم تنفد شبيبته كأنّه تحت طيّ البُرد اسوار
في جوفه رمس مقيم قد تضمّنه في رمسه مُقْمطرّات واحجار
طاق اليدين لفعل الخير ذو فُخُر ضخم الدسيعة بالخيرات امّار
كأنّ دمعي لذكراه اذا خطرت فيض يسيل على الخدّين مدرار
تبكي خناس على صخر وحقّ لها اذ رابها الدهر انّ الدهر ضرّار

ومن ابياتها المشهورة فيه ايضًا قولها

يذكّرني طلوعُ الشمس صخرًا واذكره لكلّ غروب شمس
ولولا كثرةُ الباكين حولي على موتاهمُ لقتلتُ نفسي
وما يبكون مثل اخي ولكن أعزّي النفسَ عنه بالتأسّي

ومن شعرها في رثاء اخيها معاوية قولها

ألا ما لعينك ام ما لها لقد اخضل الدمع سربالها

الى ان تقول

ساحملُ نفسي على آلةٍ فإمّا عليها وإمّا لها
بهونُ النفوسَ وهونُ النفو سِ يومَ الكريهة ابقى لها
وجراجةٍ فوقها بيضها عليها المضاعف اقتالها
كذرّقةِ الغيثِ ذات الصبيـ ـبِ ترمي السحاب ويرمى لها
وقافيةٍ مثل حدّ السنا نِ تبقى ويهلكُ مَن قالها
نطقت ابن عمرٍو فسهّلتها ولم ينطقِ الناسُ امثالها

وهو وصف بالشجاعة والسيادة والبلاغة ولشدة حزنها صار يضرب بها المثل ولطول بكائها على اخويها رووا عنها الغرائب مثل ان عمر بن الخطّاب رأى في وجهها ندوبًا فقال ما هذه يا خنساء قالت من طول البكا على اخويّ . ولا يخفى ان افراطها في الحزن وصبرها عليه يدلان على ما كان عندها من العزم والثبات ولا يصحّ ان يقال ان تسليها نفسها لهواها في الحزن وضيق ذرعها عن

احتمال آلامها وشدّة شكواها جهرًا من الدلائل على ضعف ارادتها ووهن عزمها لان المبالغة في الحزن كانت في زمانها من الامور الممدوحة وكثرة الشكوى مما لا حرَج فيهِ بل مما يثنى عليهِ ويستفاد منهُ في الحث على اخذ الثار. فلذلك لا يستدلُّ على ضعفها ببالغتها فيها حتى فاقت غيرها من بني عصرها بل على القوة والثبات اللذين كانا عندها فقد فاقت بهما كما فاقت بشعرها. ويؤيد ذلك ما تقرّدت بهِ من الشجاعة الادبية وثبات الجنان في سبيل الواجب بعد ان ادركت الاسلام واعتقدت ان الجهاد في سبيلهِ واجب عليها وعلى اولادها وان الحزن مذموم حيث ثبت الرجاء وتقرّر اللقاء. قيل حضرت الخنساء حرب القادسيّة ومعها بنوها الاربعة وكانوا رجالاً فقالت لهم من اوّل الليل يا بَنيَّ انكم اسلمتم طائعين وهاجرتم مختارين وانكم لبَنُو رجلٍ واحدٍ ما هجنت حسبكم ولا غيّرت نسبكم وقد تعلمون ما اعدّ الله تعالى للمسلمين من الثواب الجزيل في حرب الكافرين واعلموا ان الدار الباقية خيرٌ من الدار الفانية ... فاذا اصبحتم غدًا ان شاء الله سالمين فاغدوا الى قتال عدوكم مستبصرين وبالله على اعدائهِ مستنصرين. فاذا رأيتم الحرب شمّرت عن ساقها واضطرمت لظى مساقها فتيمموا وطيسها وجادلوا رئيسها عند احتدام خميسها تظفروا بالغنم والكرامة في دار الخلد والقيامة. فلما اصبح الصباح وقد اثّرت فيهم نصيحتها تقدم كل واحد منهم وقال شعرًا وقاتل حتى قُتِل فلما بلغها قتلهم جميعًا قالت الحمد لله الذي شرفني بقتلهم وارجو من ربي ان يجمعني معهم في مستقرّ رحمتهِ اه

فالتي تصبر هذا الصبر وتجود بنفوس بنيها في سبيل الواجب عليها لا يليق ان تشتهر بشعرها اكثر مما تشتهر بقوة ارادتها وشجاعتها الادبية. هذا وان التي تأمّل حال أمّ كالخنساء رأيتَ وعاشت بالبادية حيث لا مقام للمرأة في الهيئة الاجتماعية ولا وقار في الهيئة العائلية ثم ترى بنيها الرجال اطوع لها من نفسها واتبع لقولها من ظلها حتى انهم يقتحمون الموت ويبيعون الحياة رخيصة حفظًا لوصاياها — اقول ان التي تتامل حال أمّ هذا سلطانها على اولادها في مثل تلك الاحوال لا تتردّد في الحكم على ان الخنساء كانت من شهيرات الامهات كما كانت من مشاهير الشعراء. وكيف اذا تأملنا بعد ذلك ثبات ايمانها وقوة رجائها وشديد محافظتها على جميع الصفات الادبية التي ذكّرت بهِ بنيها مفتخرة مستعزة فانا لا نرتاب في انها كانت من النساء اللواتي اشتهرنَ في العالم بقوام من العقلية والادبية والدينية. وانما يسوءنا ان المؤرّخين حرمونا من اكثر ما يُبتهج بهِ ويستفاد منهُ ويُعتمَد عليهِ في سيرة امرأة كالخنساء امرأة يفتخر بها النساء ويحقّ لهنّ من اجلها ان ينسبنَ معظم تأخّرهنّ الى معاكسة الاحوال ومعارضة الرجال وبعضهُ الى الضعف الطبيعي والتكاسل والاهمال. وعاشت الخنساء بعد قتل بنيها زمانًا وكان عُمَر بن الخطّاب يعطيها ارزاق

اولادها مئتي دينار على كل واحد الى ان مات. وتوفيت في البادية بعد ما هرمت في خلافة معاوية بن ابي سفيان. وقد أسفت الرياحُ على قبرها الرمال فطمست آثارهُ ودرست اخبارهُ ولم يبقَ لنا بعدها غير النزر القليل من خبرها وشعرها على حدّ قولها

وقافيةٍ مثل حدّ السنا نِ تبقى ويهلكُ مَنْ قالها

الكيمياء البيتية

في الدهن والسمن واللبن

وقفنا هذا الباب على كل ما يدخل في الطعام والشراب وذكرنا من الحقائق العلمية والفوائد العملية ما لو تتبعهُ الانسان وجرى عليهِ لاقتصد في نفقتهِ وزاد في راحتهِ وصحتهِ. وقد اشبعنا الكلام على اللحم وتراكيبهِ وكيفية طبخهِ وعلى الجبن وتكوّنهِ وتسهيل هضمهِ. بقي ان نتكلم على الدهن والسمن واللبن ونختم الكلام على المواد الحيوانية فنقول

لا يخفى على الذين يظارون في طعامهم ولا يرفعهم علو مقامهم عن الاهتمام بما يهِ قيام ابدانهم ان بين الدهن المصهور بحرارة شديدة والذائب بحرارة ضعيفة فرقًا عظيمًا لان الاول حسنُ المنظر والملمس وليس كذلك الثاني. قال متيو وليس ولم اعثر على سبب لهذا الفرق في كل كتب الكيمياء النظرية والعملية ولذلك فتشت عن السبب بنفسي. والظاهر انهُ وجدهُ اذ عزا هذا الفرق الى تفريق الحرارة للحوامض الدهنية عن الكليسرين كما ترى

تنقسم الزبوت الى قسمين كبيرين ثابتة وطيّارة فالزيوت الطيّارة اذا أُحميت صارت بخارًا واذا بُرّد بخارها عاد زيتًا سائلاً. مثال ذلك الزيوت العطرية على انواعها بخلاف الزيوت الثابتة كزيت الزيتون فانها لا تتبخر على درجة واطئة من الحرارة واذا اشتدّت الحرارة عليها انحلّ تركيبها الكيماوي وتولدت منها مواد جديدة. وقد اشرنا الى ذلك في الكلام على قلي السمك. وعليهِ يستحيل طبخ الزبوت الاولى لانها تطير حالاً ويجب التأني في طبخ الثانية لئلاّ تنحل انحلالاً تامًّا

والدهن مركب من قاعدة وحوامض فالقاعدة هي الكليسرين والحوامض هي الحوامض الدهنية وهي ليست حامضة ولكنها سُمّيت كذلك لانها تتركب مع القاعدة كما تتركب الحوامض مع القواعد. وهذه الحوامض جامدة متبلورة في البرد وسائلة زيتية في الحر. واذا مزجت بالكليسرين بعد انفصالها عنها لا تتحد اتحادًا كيماويًا بل تمتزج بهِ امتزاجًا وتبقى متبلورة كما كانت فاذا صُهر الدهن انحل تركيبهُ الكيماوي الى الكليسرين والحوامض الدهنية المذكورة فما دام حارًّا تبقى الحوامض سائلة ممتزجة بالكليسرين ولكن اذا برد تبلورت وصار الدهن حسنَ المنظر والملمس

كما هو معلوم . ولا يخفى ان هذا الدهن يجب ان يكون اسهل هضمًا من الدهن الذي لم يحدث فيه الانحلال المذكور

وهنا يتصل بنا الكلام الى الزبدة الصناعية المسماة بالبطرين او بالأليومرجرين فانها تصنع من الدهن وتستعمل كما تستعمل الزبدة الطبيعية وقد شاع استعمالها كثيرًا في هذه الايام . ومنذ بضعة اشهر دخلنا معمل الحل الكيماوي بالاسكندرية فرأينا فيه قللًا كثيرة في كلٍّ منها شيء من الزبدة يقصد الحل فان كان المراد من ذلك منع التجار عن بيعها بثمن الزبدة الطبيعية فنعم العمل وهو الذي نتوخاهُ دائمًا في ما نكتبهُ عن الزبدة الصناعية والطبيعية وان كان المراد الحجز عليها ومنع دخولها البلاد بناء على انها مضرة بالصحة فذلك خطأ لان من يعلم كيف تصنع هذه الزبدة وكيف تستخرج الزبدة الطبيعية يحكم ان الاولى اسلم عاقبة من الثانية كما ترى في عرض الكلام على اللبن

اما اللبن فمعروف وطبخهُ بسيط يقتصر على اغلائهِ . وبين اللبن المغلى وغير المغلى او "المفوّر" وغير "المفوّر" بون شاسع ويظهر ذلك من مزج مقدارين متساويين من اللبن المفوّر وغير المفوّر بمقدارين متساويين من القهوة فان القهوة الممزوجة باللبن المفوّر تكون الذّ طعمًا من الممزوجة بغير المفوّر بخلاف الشاي فان الممزوج منهُ باللبن غير المفوّر الذ من الممزوج بالمفور والتفوير يجمّد الالبيومين الذي في اللبن فيجتمع على وجههِ قشرة رقيقة دسمة كثيرة الغذاء

والاغلاء او التفوير ضروري جدًا لسبب لم يخطر على بال العامة . ذلك انهُ قد ثبت بالامتحان ان بعض الجراثيم الحيّة التي تسبب الامراض المعدية يدخل اللبن ويعيش فيه حتى اذا شرب الانسان منهُ دخلت تلك الجراثيم بدنهُ وابتلتهُ بالمرض . وشواهد ذلك كثيرة جدًا وقد اطلنا الكلام على هذا الموضوع في اماكن مختلفة من المقتطف فلا داعي للاسترسال فيه مرة أخرى . فاذا أغلي اللبن اي "فوّر" ماتت هذه الجراثيم ولم يبقَ فيهِ شيء يخشى شرّهُ

واذا كان اللبن يحتوي احيانًا جراثيم مرضيّة فهل يتصل شيء منها الى الزبدة الطبيعية . هذه مسألة حزيلة الاهمية وقد عيّن المجمع العلمي البريطاني لجنة من العلماء ليبحثوا فيها ولم تقف حتى الآن على ما اجمعوا عليهِ . ويغلب على الظن ان هذه الجراثيم لا تعيش في الزبدة الخالصة لان ليس فيها مواد نيتروجينية وهي لا تعيش بدونها بالقياس على غيرها من جراثيم الاختمار . ولكن قد عُلم ايضًا ان بزور الاحياء الدنيا تبقى حيّة ولو ماتت الاحياء نفسها . والبحث النظري لا يكفي فلا بد من البحث العملي بالمكرسكوب لان المسألة ذات بال . ولا نعلم من ارشد العرب والسوريين والمصريين الى صهر الزبدة (تنقيتها) وجعلها سمنًا فان في ذلك حكمة عملية يؤيدها

علم الكيمياء وعلم البيولوجيا لان الحرارة تفصل حوامض الزبدة عن كليسرينها فتسهل هضمها وتميت الاحياء المكروبية مهما كانت فتمنع فساد السمن بها وتمنع ضررها عن الناس

الاّ ان ما يصدق على الزبدة الطبيعية لا يصدق على الصناعية لان الصناعية تستخرج من الدهن المصهور فلا خطر من استعمالها البتة الاّ اذا كانت ممزوجة بالطبيعية او لم تكن نقية ولو كان التجار يبيعونها بثمن بخس غير مدعين انها زبدة حقيقية لقامت مقام الزبدة الحقيقية لانها اسلم منها عاقبة ولا تقل عنها فائدة

باب الزراعة

تربية النحل

قال احد العلماء اذا باع الانسان اردبًا من قمحه او رأسًا من بقره فقد باع شيئًا من خصب ارضه ولكنه اذا باع رطلاً من عسله فقد باع ما لو لم يجنه النحل لذهب ضياعًا" . اي ان كل حاصلات الزراعة تفتقر الارض ما عدا العسل فانه لا يفقرها لان النحل التي تجنيه من الازهار تلقحها بعضها من بعض فيتحسن نوعها وتجود اثمارها فاجتناؤه منها ربح مزدوج ولا خسارة منه . وما من شيء يمنع اهل الزراعة عن تربية النحل الاّ الاهمال . وقد اعتمدنا ان نكتب فصولاً متوالية في تربية النحل الحديثة والاصلاحات العلمية التي اوجدها الافرنج في هذا القرن لان طرق التربية القديمة معروفة في بلادنا ولكنها دون ما كانت عليه منذ ثلاثة آلاف سنة

ولتربية النحل فائدة أخرى غير الفائدة المالية تجعلها جديرة بان تكون عملاً للامراء والعظماء مثل التصوير والموسيقى بل ان فيها من اللذة العقلية والجسدية ما يجعل التعلق عليها لازمًا لاهل السيادة الذين لا يستطيعون الاعمال اليدية التي تروّض ابدانهم

ان انواع النحل كثيرة والمشهور منها الايطالي والجرماني والسوري والقبرصي والمصري والكرنيولي والافريقي والازميري والاميركي العديم الحمة . وافضلها السوري والايطالي . ويظن بعض علماء النحل انه لو وجد نوع متولد من اناث النحل السورية وذكورها الايطالية لاجتمعت فيه الصفات الفضلى من النوعين فكان اجود انواع النحل كلها

وفي كل قفير من قفران النحل انثى واحدة بالغة ملكة ويسميها العرب اليعسوب ويقولون